

جزء من التقليد الدبلوماسي . فجميع الحكومات احيانا تتلاعب بالاطباء ، وتضلل الاعداء ، وتقدم معلومات خاطئة للجمهور . الا انها لم تكن الا في ما ندر تعتبر الخداع النظامي ، والتلاعب المناور الساخر ، والخيانة المتصودة ادوات رئيسية - للسياسة . وكانت حكومة نيكسون - كيسنجر تنتهي الى تلك الفئة . والامثلة هنا اكثر من ان تحصى . وفي الشؤون الخارجية أشهر اعمال الخداع هي تلك المتعلقة بقصف كامبوديا وغزوها . وانه امر يصعب تصديقه انه كان بالامكان تنفيذ تلك الغارات الثلاثة الالف والثلاثماية والستين بواسطة طائرات ب - ٥٢ سرا ضد كامبوديا الحياضية ( بين اذار - مارس ١٩٦٩ و ايار - مايو ١٩٧٠ ) ، تحت اشراف كيسنجر ، ودون ان يعرف حتى وزير سلاح الطيران . ومع هذا لم تكن حادثة شاذة . ففي مقالة مرتكزة على ابحاث مستفيضة اظهر تاد زولك ، المراسل الدبلوماسي السابق لصحيفة نيويورك تايمز ، ان الاجزاء الجوهرية لاستراتيجية المفاوضات التي اعتمدها كيسنجر في الفيتنام كانت العنف والمناورة المشتعلة على الاخفاءات والخداع ، والوعود الكاذبة التي قطعها للفييتناميين . ( تاد زولك ، « وراء اتفاق وقف النار الفيتنامي » ، السياسة الخارجية ، العدد ١٥ ، صيف ١٩٧٤ ) .

يعتبر الدكتور كيسنجر المناورة سلاحا رئيسيا للدبلوماسية الفعالة . فهو يقول ان مترنيخ « تنوق في المناورة لا في البناء » . ولهذا الامر فائدته . إذ « عندما تحققت وحدة اوروبا ، لم يتم ذلك عن طريق حسن نية كاسلريه بل عن طريق مناورات مترنيخ » . ( هـ . كيسنجر ، عالم مرموم ، ص ٣١٨ ) . ورجل الدولة الاخر الوحيد الذي اثار اهتمام هنري كيسنجر واعجابه هو اوتسو فون بسمارك ، الذي كان هو ايضا يميل الى سياسة الخداع . ويصفه الدكتور كيسنجر بقوله ان « الشكوك الاخلاقية لم تكن تعوقه » ، فهو « رجل دولة » يضع « مبدأ النفع فوق مبدأ الشرعية » . ( هـ . كيسنجر ، « الثوري الابيض : تأملات حول بسمارك » . ديد الويس ، ص ٩١٤ ، ٨٨٨ ) .

لا نقول ان كيسنجر يعتبر مترنيخ او بسمارك بطلين وتدفعه الحاجة الى تقليدهما . فهو موظف

ان ربح السلام في الفيتنام الذي تلقى عليه نصف جائزة نوبل هو مسألة اخرى . ولكن بالنسبة الى الشرق الاوسط يصعب انكار وصف غولدا مئير لهنري كيسنجر بانه « صانع معجزات » . وقد يستخدم المرء عبارة اقل الهية ، لكن مما لا ريب فيه ان المنجزات تثبت الدكتور كيسنجر بوصفه محتال الدبلوماسية الحديثة الذي يسلب الناس اموالهم بعد ان يكسب ثقتهم .

يصعب تصور وسيط ابعده احتمالا بين اسرائيل والعرب . فهو وصفه مساعدا خاصا في البيوت الابيض ، وفيما بعد وزيرا للخارجية ، كان فريقا في النزاع ، الى جانب اسرائيل . ولا يعني بهذا اتهام كيسنجر باختراع الامبريالية الاميركية او دعمها لاسرائيل . فقد كان الاثنان مرتبطين منذ ما قبل ولادة الدولة الصهيونية . ومع هذا اسهم كيسنجر اسهامات فريدة في تلك العلاقة . فترقية اسرائيل من وكيل ثانوي لتصير الدولة الرئيسية الافضل تسلحا للسلام الاميركي في شرق البحر الابيض المتوسط تعود كليا الى استراتيجية كيسنجر . وعلى نحو مفهوم ساعد في تخريب خطة روجرز بعدما حققت ، عن طريق نشر وقف النار ، الهدئين التكتيكيين لاجاد مازق على طول قناة السويس وعزل الفلسطينيين عن دعم مصر لهم في المعركة مع الملك حسين . وخلال حرب تشرين ( اكتوبر ) ، لعب الدور الحاسم في العملية الكبرى لاعادة امداد اسرائيل ( وهي حتى اليوم اكبر عملية من نوعها في التاريخ وانطوت على ما يقدر بـ ٢٤٥ بليون دولار من الامدادات العسكرية في أقل من اسبوعين ) وبدونها ما كانت اسرائيل لتستطيع شن الهجوم عبر قناة السويس وتعيد احتلال مضبة الجولان . وبفضل مناورات كيسنجر لم يتحقق وقف النار الا بعدما عبر الاسرائيليون القناة ، وأمنوا رأس جسر ، وخلقوا جيبا على الجانب الغربي . ثم خرقت وقف النار الى ان عزلت اسرائيل الجيش الثالث المصري . وقد غطى اعمال الخرق هذه انذار نووي عالمي استقبله الدكتور كيسنجر - الاول منذ ازمة الصواريخ الكوبية عام ١٩٦٢ .

لم يكن من شأن السجل العام للدكتور كيسنجر ( او الرئيس نيكسون ) في ادارة الدبلوماسية ان يوهي بالثقة . ان تدرا من المناورة والنفاق هو